

التمهيد

- أ- القيمة لغةً واصطلاحًا.
- ب- الأخلاق لغة واصطلاحًا.
- ج- إمامة سريعة عن القيم الخلقية في الشعر الأندلسي قبل العصر المدروس.

obeikandi.com

القيمة لغةً واصطلاحاً

وردت لفظة "قيمة" في القرآن الكريم^(١) وفي كتب التفسير^(٢) ومعاجم اللغة^(٣) وفي الشعر، بمعنى الاستقامة والطريق المستقيم.

واستعملت للخصال الحميدة المرشدة للناس المعبرة عن المبادئ المتمسكة بروح الإسلام في كلِّ المواقف الحياتية.

وفي الاستعمالات اللغوية في المجانسة (أن تشترك اللفظتان على جهة الاستقاق)^(٤). فظهر أنهم تأثروا بألفاظ القرآن الكريم أيضاً.

(١) وردت في مجال العبادة الخالصة لله في قوله تعالى ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة: (٥).
(*) وردت في مجال الأحكام والقضاء ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ فيها كُتِبَ قِيَمَةٌ. انظر: البينة: ٣. وانظر: الأنعام: ١٦١ - وردت في وصف الإسلام بالطريق المستقيم في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّى هَدَيْتَنِى نَبِىٌّ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾.
(**) ابن الأبار البلسنى: درر السقط في خير السبط، ص ٥. تحقيق: الدكتور عبد السلام اهراس، الطبعة ومكانها بلا.

(٢) وفي الحديث: (قل أمنت بالله ثم استقم) فسر على وجهين، قيل هو الإستقامة على الطاعة وقيل ترك الشرك، انظر: الأزهري (٣٧٠هـ) معجم تهذيب اللغة: مادة قوم. وصحيح مسلم: م ١، ص ٢١٣، تحقيق وإشراف عبد الله أحمد، أبو زينة، ط، الشعب.
(٣) قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ قَالَ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) أخرجه ابن ماجة وأحمد بن حنبل، أنظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى: د. أ. بى ونسك أستاذ العربية بجامعة ليدن ج ١، ص ١١٧، دار الدعوة ١٩٨٦..

(٤) قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَبِيرِ﴾، الروم ٤٣. انظر: أبا بكر محمد بن الطيب الباقلانى، اعجاز القرآن، ص ٨٣، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٦٣. والاصبهانى، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، م ٢ ج ٤ ص ١٦٦، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان ط ٣، ١٩٨٠م..

وقد وردت هذه المادة في عدة معانى "قامَ قَوْمًا وَقِيَامًا"^(١) لتعنى صفة الشيء الذى تجعله موضع تقدير^(٢). ومنها القيام وهو نقيض الجلوس، وبمعنى آخر هو العزم^(٣)، والمحافظة، والإصلاح.

والقيمة بالكسر واحدة القيم وماله قيمة إذا لم يدم على شيء^(٤) وقيمة الشيء ثمنه^(٥)، وَقَوْمَ السلعة واستقامتها، قدرها وثمنها، قالوا: يارسول الله: لَوْ قَوْمَتَ لَنَا فَقَالَ: اللهُ هُوَ الْمُقَوْم.

وكتب قيمة ذات قيمة أى مستقيمة تَبَيَّنَ الحق من الباطل على إستواء وبُرْهان^(٦). والقوام: العدل وما يقاس به^(٧). والقيم حامل القيمة، وهو السيد وسائس الأمر أو هو بعل المرأة والمسؤول^(٨) عن شؤونها^(٩) وترادفت لفظة القيم بالمثل ومن ذلك يقال أيضا فلان أمثل من فلان أى أفضل منه وأماثل الناس خيارهم^(٩). كما قال ابن وهبون المرسى وأراد بالمثل القيم:-

لَمْ يَقْصِدْ الدَّهْرُ إِصْلَاحِي وَلِي مِثْلُ فِي الْغَضَنِ تَذَهَبُ عَنْهُ صُورَةُ الْغَيْدِ^(١٠)

(١) المعجم الوسيط، مادة (قوم).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٥ ص ٢٠١٦ وج ٢ ص ٢٠١٨، تحقيق: أحمد عبد الغفور، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤.

(٣) الجن: ١٩ بسم الله الرحمن الرحيم "وَأَنَّهُ كَمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ" أى لما عزم.

(٤) انظر: القاموس المحيط، مادة قوم.

(٥) جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة قوم، ص ٥٠٠، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٦م، وانظر: المعجم الوسيط (قوم).

(٦) لسان العرب، ج ١١، ٦٦٣ (مادة قيمة) ..

(٧) مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط مادة (قوم)، مؤسسة فن الطباعة مصر.

(٨) المعجم الوسيط، (القوم) ومحمد أعلى بن على التهانوى، كشاف اصطلاحات الفنون، ص ٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، مطبعة خياط، بيروت، ١٩٦٦م.

(*) النساء: ٣٤، قال "الرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ".

(٩) لسان العرب، ج ١١، ص ٦٦٣، ط بيروت، ١٩٥٦.

(١٠) سمر صبحى أحمد، شعر ابن وهبون العرسى، دراسة وتحقيق، ص ٤٥، رسالة ماجستير مضمومة على الآلة الكاتبة، جامعة الموصل، بإشراف د. منجد مصطفى بهجت، ١٩٨٩م.

وحقق قصده ابن زيدون قائلاً^(١):

سَعِيَّةٌ فِي كُلِّ بَرٍّ مَثْلٌ إِذْ مَسَّاعِي مِنْ يُنَاوِيهِ مَثْلٌ

والقيم عند ابن بسام (ت ٥٤٢هـ) (بحسب الإنسان وعلى قدر تصرف اليد واللسان، وأن أحظى ما قرع به بابك أو رُفِعَ له حجابك، رقعةٌ تشيرُ بها إلى علم وأدب)^(٢)، وهذا يعنى إنَّ القيم وليدةُ هذا الواقع ويمكن للجميع ملاحظتها^(٣) لذا فإن تعزيز القيم الإيجابية المستمدة من منابع الأصيلية المتمثلة بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح وتراث الأمة وثقافتها العربية الإسلامية.

أما الدلالة الاصطلاحية:

فهى تمثل مجموعة أحكام تتفق عليها الإيرادات وتحتل مكانة مركزية فى الحياة مرتبطة بذاتها فيمكن القول بأن القيمة اتجاه مع، أو ضد حدث أو ظاهرة (ندركها بنوع من الوجدان أو العاطفة التى تستشعر منها القيم التى يدركها الجاهل والمثقف)^(٤)، وعليه فان مفهوم القيمة يعنى طريقة فى الوجود أو فى السلوك يعترف بها شخص أو جماعة على أنها مثال يحتذى^(٥). وهى الصفة التى تجعل من الشئ أمراً مرغوباً فيه ومطلوباً فى المجتمع^(٦). وإنها مسألة ذاتية فردية واردة تتلاءم مع العقل

(١) الديوان، ص ٣٤٠، شرح على عبد العظيم، ط، ١٩٥٥.

(*) مَثْلٌ أمثال مضروب للقدوة والاحتذاء، مثل الثانية (جمع مائل مثل خادم وخدم) والمائل هو اللاحق بالأرض والمعنى أن فعال الأمير أصبحت مثالا للاقتداء فى السمو والجلال.

(٢) أبو الحسن على بن بسام الشنتونى، الذهيرة فى محاسن أهل الجزيرة، م ١ ق ٢ ص ٣٠٨، تحقيق: الدكتور أحسان عباس، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ط ١٩٨١.

(٣) دوفيتو جان دوركيم ترجمة مسعود الخونو، سليم مكسور، ص ١١٨ - ١٢٠، بيروت، ١٩٧٨م.

(٤) الدكتور عبد الرحمن بدوى، الأخلاق النظرية، ص ٩٢، وكالة المطبوعات ٢٧، الكويت، ط ١، ١٩٧٥م.

(٥) روشيه غى، مدخل إلى علم الاجتماع العام، ص ٩٣، بيروت، ط ١٩٨٣.

(٦) جعيل صليبا، المعجم الفلسفى، ج ٢، ص ٢١٢، ط بيروت، ١٩٨٣.

وتوافقه، فالمعيار هو العقل والقيم خاضعة له لأن القيمة تحدد بناء هذا المعيار^(١)، فقيمة كل امرئ ما يحسنه^(٢)، ويقدر بأخلاقه وأعماله.

والقيمة تفرض سلوك الإنسان، والسلوك يكشف عن قيمة^(٣)، وقد حاولت مدرسة القيم تفسير السلوك الأنساني في ضوء القيمة للأستاذ بَير (peper) وعنوانه (نظرية القيمة). وفي هذا يقول ابن حصن الأشبيلي^(٤):-

أَقَامَ قَنَاءَ الدِّينِ وَاقْتَعَدَ الْعُلَا وَشَدَّ عُرى الْإِسْلَامِ وَإِخْتَرَمَ الشُّرَكَاءَ

يختلف مفهوم القيم من فترة زمنية إلى أخرى^(٥) فهو لا يدوم على سياق ثابت حتى في ظلّ المدّة الزمنية المحددة؛ لان القيم مقاييس إجتماعية خُلِقَتْ تُقدِّرها الحضارة التي ينتمى إليها أفراد المجتمع وفقاً لتقاليده واحتياجاته وأهدافه في الحياة. الأخلاق لغة وإصطلاحاً:-

الأخلاق في اللغة جمع خُلِقَ وخُلِقَ تستعمل للدلالة على قواعد السلوك^(٦).

والخلق (الطبيعة وجمعها أخلاق، والخلق السجية وقال الخلق هو الدين والطبع والسجية)^(٧).

(١) الدكتور عادل العول: القيم الأخلاقية، ص ١٨٢، جامعة دمشق، ١٩٦٠.

(٢) انظر: محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكامل، ج ١، ص ٣، ط ٢، ١٩٦٥م، مطبعة محمد على صبيح واولاده، وانظر: ط ١، ١٩٣٢م، مطبعة مجازى.

(٣) الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، مدرسة القيم أحدث مدارس علم النفس، مجلد العربى، ص ٦٣، ع ٥٣ لسنة ١٩٦٣.

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: م ١، ق ٢، ص ١٦٧.

(٥) الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، مدرسة القيم أحدث مدارس علم النفس، مجلة العربى، عدد ٥٣ لسنة ١٩٥٩.

وانظر: لويس مير، مقدمة في الانثربولوجيا الاجتماعية، ص ٨٨، ترجمة: شاكِر مصطفى، بغداد، ١٩٨٣

(٦) معانى المادة كثيرة لا تخرج عن الأصل الأول لها، انظر: مادة (خلق) للسيد محمد مرتضى الزبيدى، تاج العروس، ج ٦، ص ٣٣٥-٣٣٨، الطبعة القديمة غير مسجل عليها أية معلومات عن الطبع.

(٧) لسان العرب، م ١٠، ص ٨٦، باب القاف.

يقال رجل مختلف أى حسن الخلقة، ويقال رجل له خلق حسن وخليقة وامرأة خليفة. أى ذات خلق وجسم^(١). ويطلق على (الجبلّة التي خُلق الإنسان عليها)^(٢) ومجموعة الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسى للإنسان^(٣). والطبيعة (وما يتمّز به الإنسان من صفات فطرية)^(٤). ولما كانت الأخلاق هى مجموع قواعد السلوك فإنها بذلك تطلق على (جميع الأفعال الصادرة عن النفس)^(٥) محمودة كانت أو مذمومة، وإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقط. دل على الأدب لأن الأدب لا يطلق إلا على المحمود من الخصال^(٦). وتطلق أيضا على أسلوب^(٧) المرء وطريقته فى الحياة.

أما الأخلاق فى الدلالة الاصطلاحية:

هو (حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال عن غير حاجة إلى فكرٍ ورؤية)^(٨). والخلق العظيم هو السلوك إلى ما يرضى الله عنه، قيل عن رسول الله ﷺ "ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحسانكم أخلاقا"^(٩) فعلم الأخلاق هو علم السلوك^(١٠).

أنّ أوّل من وضع مذهبا أخلاقيا هو أرسطو فى كتابه إلى نيقولا ويعدّ من أفضل

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، ج١، ص ٢٤٨، مطبعة دار الكتب المصرية، ط الثانية.

(٢) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى، ج٢، ص ١١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧١.

(٣) يوسف كرم، المعجم الفلسفى، ص ١٢٩، القاهرة، ط٢، ١٩٧١.

(٤) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى، ج٢، ص ١٣.

(٥) أحمد أمين، الأخلاق، ص ٢٤، مطبعة لجنة التأليف والنشر، الطبعة السابعة، ١٩٥٧.

(٦) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى، ج١، ص ٤٨.

(٧) The Encyclopede of Philosophy, Vol. 3/ P. 18 arthies.

(٨) المعجم الوسيط، م ١، ص ٢٥٢، أد دره مجمع اللغة العربية، ١٩٦٠، وانظر: السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، ص ١٠٦، د. د. ت م، د. ط.

(٩) انظر: صحيح البخارى، ج ٢١، ص ١٨٤، وانظر: المغنى نفسه فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى، ج ١، ص ١١٢، دار الدعوة، ١٩٨٦.

(١٠) محمد على التهانوى، كشف اصطلاحات الفنون، ص ٢٢٩-٢٣٠، تأليف لطفى عبد البديع، القاهرة، الهيئة اتمصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٩ م.

الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، والفضيلة عنده هي (انطباق الفعل على القاعدة الأخلاقية)^(١). لقد حثت جميع الأديان السماوية على الأخلاق الفاضلة^(٢)، واختلف العلماء في فضائل الأخلاق فذهب بعضهم إلى ذواتها^{(٣)*}. وذهب آخرون إلى أن المراد بها السعادة الحادثة عنها لأنها الغاية المقصودة بها. فهي وسيلة لتحقيق غاية بعيدة^(٤). فمن (حَسُنْ خلقه وجِبَ حقُّه)^(٥). فالدين كله (خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليه في الدين)^(٦).

وقد فهم العربى الأخلاق بأنها الخصال المحمودة التي أسهمت في بناء قضيته المتميزة واتفق الحكماء على إنَّ أجناس الفضائل أربعة هي: (الحكمة، العفة، الشجاعة، العدالة) ولهذا لا يفتخر أحد ولا يتباهى إلا بهذه الفضائل^(٧). والمرؤة من المفاهيم الشائعة في المجتمع الأندلسي واقتربت في مضمونها من مفهوم القيم الأخلاقية العليا وتعنى مهارة في القتال، وصبرا على الشدائد وتمسكا بالثأر وحماية الضعفاء وقد قيل (إن كان لك خلق فلك مروءة)^(٨).

وجاءت مفاهيم الأخلاق مرادفة لمفاهيم الحلم عن سفاهة الجهالة، وكرم الطباع،

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوى، الأخلاق النظرية، ١٩٧٥، الكويت.

(٢) انظر: التوراة، الزمور ٤٥ الآية ١، ٢، والتوراة الأمثال، الاصحاح ٣١، الآية (٨-٩) (فالاله قاضى عادل وإله يسخط كل يوم)، التوراة الزمور ١١ عدد ١١، وانظر: الانجيل، متى، الاصحاح الخامس الآية ٥، ٧، ١٠.

(*) ذواتها: يقصد غاية لذاتها.

(٣) د. ناجى عباس صالح، أصول الفلسفة الخلقية، المورد، مجلد ٥، عدد ٣، لسنة ١٩٧٦.

(٤) اسعد محمد بدوى، بحث أصول المذهب الاجتماعى في دراسة الأخلاق ص ٧٣، مجلة كلية الاداب، جامعة الإسكندرية، م ١٣ لسنة ١٩٥٩، مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٩.

(٥) القيروانى، زهر الأداب، ج ٤، ص ١٠٥٤.

(٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٠٥٤.

(٧) لسان الدين بن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، ص ٤٤٦، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط ١، ١٩٦٨، دار الفكر العربى، وانظر: ابن حزم، رسالة الأخلاق، ص ٧، المشرف المستول محمد عبد الله السمان، القاهرة، دار الثقافة العربية للطباعة.

(٨) ابن عبد ربه الأندلسى، العقد الفريد: ص ٢٤٧، تحقيق: أحمد أمين، القاهرة، ١٩٦٥.

والتواضع والحزم والأنفة، وعدل لا يميل به الهوى وحلم لا يبتغى العجز وعز لا تشوبه الكبرياء:-

عَطَاءٌ وَلَا مَنٌّ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَىٰ وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرٌ^(١)

قَدْ اسْتَوْفَتْ النِّعْمَاءُ فِيكُمْ تَمَامَهَا عَلَيْنَا، فَمِنَّا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

وهكذا وجدنا من خلال البحث في مصطلح الأخلاق إن المجتمع له فلسفة خلقية اقتضاها نظام الحياة وأوجدها المجتمع. بيد أنه لم يرد ذكر مدونات تشير إلى تدوينهم.

ولكل مجتمع سلوك يسير عليه وفق قانون يحكم به ومثل توضح معناه، خيرًا كان أم شرًا ذلك المصطلح هو الأخلاق.

(١) ديوان ابن زيدون، ص ٥٤٨.

إلمامة سريعة عن القيم الخلقية في الشعر الأندلسي

- قبل العصر المدروس -

يبقى الشعر ديوان الأمة وعنوان أدبها وبرهان أخلاقها وجامع تاريخها له (بين كل قوم مظهر وعند كل قبيل منزع)^(١). يقول آرنولد (M. Arnot) الشعر الحقيقي الجيد هو: (نقد الحياة وفيه قوة أخلاقية تدافع عنها وتبهجنا)^(٢) ولا يمكن (تفسير ظاهرة من الظواهر أو حادثة من حوادث التاريخ دون مراجعة النصوص الشعرية)^(٣). أو من غير أن نعرف مناهج الحياة الإصلاحية والاجتماعية، والبيئة التي دعا إليها الشاعر، والمواءمة بين دعوته وبيئته.

وأى مجتمع لا يمكنك دراسته من غير أن تتعرض لمحاوراته، أو من غير أن تدرس مثله العليا وقيمه من خلال ما تفيد سيرة من التأسى والإقتداء بهم في قوة الاحتمال والجلد والصبر والإخلاص.

(١) انظر: المقتطفة الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر، ج ١ م ٣٠، كانون الثاني ١٩٠٥، الموافق ٢٥ شوال سنة ١٣٢٢ هـ، البحث لمحمد كرد علي، أخلاق الشعراء، دمشق.

(٢) انظر: Mathew Arna Id, Essays in Criticism G Londone New Yourk., 1983s: + 11/PP. 135 .

(٣) انظر Lapoeys Je And Alouse En Arabe Classique Nu Nislacle. P. 99.

(*) المذهب المالكي، مؤسسة أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، مؤسس المذهب المالكي ومؤلف الموطأ، انظر: ترجمته في البخاري، التاريخ الكبير، ج ٣ / ١ ص ٣١٠، وابن قتيبة المعارف، ص ٢٥٠-٢٩٠، ابن النديم، الفهرست ص ٩٨-١٩٩، ابن كثير، البداية والنهاية: ١٠، ص ١٧٤-١٧٥.

لقد اعتنق الأندلسيون الإسلام على المذهب المالكي^(*) مطبقين مبادئه التي هي "القرآن الكريم، والحديث والسنة"^(١).

ولما كان الناس على دين ملوكه في العرف^(*) والعادة فقد احتكر المذهب رجال القانون خلال عهد الطوائف ليصبح أكثر نشاطاً وفعالية تحت ظل المرابطين فأمرهم^(٢) (لم يكن يحظى عنده إلا من علم علم الفروع أى فروع مذهب مالك فدفعت في ذلك الزمان كتب المذهب الذي برزت فيه طبقة الفقهاء تتبوأ مراكز الصدارة، فالشعراء الذين أدركوا العصر هم الشعراء الذين كانوا في ظلال أمراء الأندلس^(٣). وكان للشعر حظ كبير لدى الأمراء أنفسهم، فالكل شاعر عرف الشعر وارتجله وتغنى به^(٤). مراعيًا في نظامه وحدة أخلاقية الفرد والمجتمع ثم أخلاقية الحكم واصفًا نظامه التشريعي في مختلف شؤون الحياة^(٥). واجتمع في بلاطهم من الكتاب وفرسان البلاغة وأقطاب العلم ما لم يتفق اجتماعه في عصر من العصور^(٦).

بعد أن امتزجت العناصر وتوحدت الأجناس واختلط الدم مما نشأ منه جيل عربى جديد يجمع خصائص العرب والآريين الفكرية والاجتماعية والنفسية^(٧).

(١) انظر: د.أ. محمد بن عبود، التاريخ السياسى والاجتماعى لإشبيلية في عهد ملوك الطوائف، تقديم د. وليم مونتغري، تطوان، ١٩٨٣، مطابع الشويخ، ص ١٧-١٨.

(*) العرف والعادة: ما استقر في النفس وجهة (العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول)، انظر: مذهب مالك، ج ١، ص ٣٥٣-٣٦٠.

(٢) الذخيرة، م ١، ق ١، ص ١٤١، نقلا عن: شامش الرد على ابن التغريلة اليهودى ورسائل أخرى لأبن حزم الأندلسى، تحقيق: د. أحسان عباس جامعة الخرطوم، مكتبة دار العروبة، ١٩٦٠، مطبعة المدنى.

(٣) الدكتور حسن الوراكي، ابن صارة الشنتوني؛ حياته وشعره، مطبعة النور، تطوان، ١٩٨٦، الطبعة الأولى.

(٤) زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٥٠٢-٥٠٥، ٥٠٧، نقله عن الألمانية فاروق ييوضون وكيال دسوقي، الطبعة الأولى ١٩٦٤، منشورات المكتب التجارى للطباعة.

(٥) أحمد الشرباصى، اخلاق القرآن، ص ٣٥١، مطبعة بغداد.

(٦) الدكتور محمد مجيد السعيد، ابن بقى حياته وشعره، ص ١٢٥، مجلة المورد، عدد ١، ١٩٧٨.

(٧) محمد عبد المنعم خفاجة، قصة العرب في الأندلس ج ١، ص ٢٤-٢٥، ط بيروت ١٩٦٢. وأنظر: بطرس البستاني، ادباء العرب في الأندلس عصر الانبعاث، ص ٣٩.

وقد أعطت لاختلاف أصولها وأديانها صفات خاصة به قل أن نجدها في مجتمع آخر^(١).

حيث كانوا (على سنن عظماء الملوك وأخلاق السادة)^(٢) فأخذت عمقها في نفوس القوم وحياتهم^(٣).

ويؤكد ذلك الدكتور إحسان عباس بقوله (تمثل نوازل ابن رشد اتساعاً في الزمان والمكان)^(٤) وهى تفوز قيمهم لأنها (تتكلم عن العلاقات بين المسلمين واعدائهم في السلم والحرب، والتعامل التجارى بينهم في أوقات الهدنة وعن اقتداء الأسرى وعن أفضلية الجهاد)^(٥) فكلهم يبحثون عن الحق والخير^(٦). وبعضهم أخذ مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واندفع إلى تحقيق رسالته كقريب على الأخلاق العامة^(٧).

لقد وردت نصوص كثيرة تمثل التمسك بالقيم الخلقية ومكارم الأخلاق الإسلامية في جمهرة أنساب^(٨) العرب لأبن حزم الأندلسى المتوفى سنة (٤٥٦هـ)

(١) الدكتور صلاح خالص: اشيلية في القرن الخامس الهجرى، ص ٣٣، دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بنى عباد في إشيلية، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

(٢) النسخ، ج ٣، ص ٢٣٢.

(٣) فطوى ابن رشد، لابی الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكي (ت ٥٢٠هـ)، السفر الأول، ص ١٥٣، تحقيق وجمع وتعليق: د. المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامى.

(٤) المصدر نفسه، السفر الأول، ص ٥١٨ - ٥٢٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(٦) الدكتور الأهوانى، مسائل ابن رشد، م ٤ ج ١ ص ٦٩-٧٣، بحث في مجلة معهد المخطوطات العربية.

(٧) انظر: محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والاندلس، ص ١٥، ٣٧، د. سعد زغلول عبد الحميد، محاضرة القيت في جامعة بيروت العربية بتاريخ ١٩٧٣، طبعت في دار الامد البحري، أخوان بيروت.

(٨) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٣٦-١٨٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة القاهرة، ١٩٦٢.

وفي مطعم الأنفس^(١) لفتح بن خاقان المتوفى سنة (٥٢٩هـ) وفي ذخيرة^(٢) ابن بسام المتوفى سنة (٥٤٢هـ)، وفي الحلل السندسية^(٣) في الآثار المراكشية للمراكش المتوفى (٦٤٧هـ) وفي الأحاطة^(٤) في اختبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب المتوفى (٧٧٦هـ) وفي نفح الطيب^(٥) للمقرئ التلمساني المتوفى (١٠٤١هـ)، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر نصا من المعجب يقول: (لقد ساهمت الظروف البيئية في تكوين العرف الاجتماعي السائد في الأندلس التي أملت على الإنسان أن يتصف بالشجاعة والشهامة والفروسية والمروءة والوفاء والصبر)^(٦).

لقد تمتع العرب بقيم خلقية دَلَّت كتاباتهم ومخلفاتهم على ذلك. يقول ابن بسام (غدا الدين جديداً، والإسلام سعيداً، والزمان حميداً وعمود الدين قائماً، وكتاب الله حاكماً، ودعوة الإيمان منصوراً)^(٧). ويقول المقرئ (أم بأى لسان أثنى على مزاياهم الحسان؟ وما عسى أن أقول من قول نسقوا الفضائل ولواء؟ وتعاطوا أكواب المحامد ولواء؟ وسحبوا من المجد مطارف وملاء وحازوا المكارم وبَدَوا الموارد والمُصارِم سؤددا وعلاء)^(٨).

وفي موطن آخر يقول المقرئ (أهل الأندلس عرب في الإنسان والأنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن، وطيب النفوس وإباء الضيم. بغداديون في نظافتهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم)^(٩). ووجود

(١) الفتح بن خاقان، مطعم الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس، المقدمة دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، ط الأولى ١٩٨٣، دار عمار، مؤسسة الرسالة.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، م ١، ق ٢، ص ٨٧، ط ١٩٨١، ليبيا تونس الدار العربية للكتاب.

(٣) المراكش الحلل السندسية في الآثار المراكشية، ج ١ ص ٢٢٠.

(٤) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في اختبار غرناطة، ج ١، ص ١٤٣.

(٥) المقرئ التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس.

(٦) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٩، الطبعة الأولى، مصر.

(٧) ابن بسام، الذخيرة، م ١، ق ٢، ص ٢٣٦.

(٨) المقرئ، النفح، ج ١، ص ٦٤.

(٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٣، وانظر: د. عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص ٤٠.

هذه الفضائل منوط بشيء من التقدير أو التخيل الجزئي لما ينبغي فعلو من مفاهيم ما وعلى قدر ما^(١). نلمس ذلك من معانى الأشعار^(٢). الذى بثها بعض الشعراء قبيل عصر الطوائف والمرابطين وفي مضمار المبادرة بالعمل الصالح يقول ابن عبد ربه الأندلسي، وفيه معنى العطية قبل السؤال^(٣):-

كَرِيمٌ عَلَى الْعَلَاتِ جَزْلٌ عَطَاؤُهُ يُنِيلُ وَإِنْ لَمْ يَعْتَمِدْ لِنَوَالِ

وما الجودُ من يُعطى إذا ما سألتُهُ ولكن: من يُعطى بغيرِ سؤالِ

وأكرم الناس من يُسرِع في قضاء الحاجة^(٤):-

أُنْظِرْ إِلَى عَرَضِ الْبِلَادِ وَطُولِهَا أَوْلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا

حَاشَ لِحُجُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثَقَيْتَ بِجُودِكَ سَهْلَتِ لِي وَعَرَهَا

وأكثر الشعراء تمحدا بالكرم ابن دراج القسطلی (ت ٤٢١هـ) فقد كان شاعرا مستقيما حساسا متعلقا تعلقا شديدا بزوجه وأولاده وطبعه الكريم وسماحة يده دفعه إلى إشعال عود الألوة بدلا من الحطب لأقراء نار الضيف قائلا^(٥):-

أَنْوَزِكَ أَمْ أَوْقَدْتَ بِاللَّيْلِ نَارَكَ لِبَاغٍ قِرَاكِ أَوْ لِبَاغٍ جَوَارِكِ؟

(١) ماجد فخري، ابن رشد فيلسوف قرطبة، ص ١٠٥، الجامعة الأميركية، بيروت، المطبعة الكاثوليكية.

(٢) الدكتور محمد مجيد السعيد، الشعر في ظل بني عباد، ص ٤٨-٤٩، ط ١، ١٩٧٢م، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، مساعدة وزارة التربية على نشره.

(٣) ديوان ابن عبد ربه، ص ١٣٥، جمعه وحققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٩٧٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، وانظر: الأدب الأندلسي، ملا فريج وعبد الجليل خليفة، ج ١، ص ١٣١.

(٤) الديوان، ص ٩٣، انظر نظيره في المصدر نفسه ص ٩٦.

(٥) ديوان ابن دراج القسطلی، ص ٨٤، تحقيق: محمود على مكي، ط الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٩.

وَرَيَّاكَ أَمْ عَرَفُ الْمَجَامِرِ أَشْعَلَتْ بَعْدَ الْكِبَاءِ(*) وَالْأَلْوَةَ نَارُكَ؟

ومن أمهات الفضائل والقيم الشجاعة^(١)، التى تصون شرف الإنسانية وهى: ألا يجبن الإنسان، أو يستسلم لما يعتويه من مصائب الحياة لأن الحيوانات والطيور تدافع عن أنفسها وعن أبنائها والإنسان أولى منها بهذه الفضيلة.

ولما كانت الشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل^(٢)، فإن كثرة الحروب والمنازعات التى شهدتها بلاد الأندلس كانت سببا لظهور الأبطال من الرجال الذين كانوا يمتدحون بالشجاعة ويتوسمون فيها دفاعا عن كرامتهم وعزتهم.

وهذا الحكم بن هشام^(٣) (ت ٢٠٦هـ) يفتخر ببطولته وقوة انتصاره فيسقى العدو نافع الموت، فلا يحيد ولا يجزع.

ولقد كان الميل إلى القتال هو الآخر من الدوافع التى حملت الشعراء على التكبير فى هذا النهج الذى اتبعوه فى سيرتهم السياسية وهم يرون فيها انتزاع الحق وكشف الدجى ونشر الأمن والطمأنينة^(٤).

وقد دعا ابن عبد ربه إلى وصف الحرب وبيان شجاعة الشجعان، هو أنه كان هناك قول مأثور ينقشونه على أكثر معاهدهم العلمية هو أن العالم يقوم على أربعة

(*) الكباء، ممدود، ضرب من العود والدّفة، وقال أبو حنيفة: هو العود المتبخر به، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٥، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦ (مادة) (كبا)، ص ٢١٤.

الألوة: الغلوة والسيقة، والألوة، بفتح الهمزة وضمها والتشديد والألوة والألوة، بفتح الهمزة وضمها لغتان، العود الذى يتخربه، راجع لسان العرب، مجلد ١٤ مادة (ألا) ص ٤١.

(١) الخلق مجلد ١٤ مادة (ألا) ص ٤١.

(٢) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج ١٨، ص ٢٥٤، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها، ص ١٢٠، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٩، بيروت.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٣٢-١٣٣، وانظر: أحمد هيكى، الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٨٣، ط ٧، ١٩٧٩، دار المعارف، الطبعة ٣، ١٩٦٧.

أمور: علم الحكماء، وعدل العظماء، ودعاء الصالحاء، وشجاعة الشجعان^(١).
يقول^(٢): -

سيوفٌ يُقِيلُ الموتُ تحتَ ظبَاتِهَا لها في الكلى طعمٌ وَيِنَّ الكلى شربُ
إذا اصطفت الرايات حمراً متونها ذوائبها تهفو فيهبو لها القلبُ
ولم تنطق الأبطالُ إلا بفعلها بالسنا عُجَمٌ وأفعالها غُربُ
إذا ما التقوا في مآزقٍ وتعانقوا فلقياهم طعنٌ وتعنيقهم ضربُ

لقد توطدت (الشجاعة بالمغرب الإسلامي وبما حمل معه إلى أهلها من بناء
اجتماعي ومن مثل أخلاقى ومن ثقافة يمثلها)^(٣). وكثيرا ما قرن الشاعر الشجاعة
بالجود والكرم فنجد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك^(٤):

ولا خَيْرَ في الدُّنيا ولا في نعيمها إذا غاب عنها حَبْوَةُ بن الملامسِ (*)
أخو السِّيفِ يَقْرِي الضَّيْفَ حَقًّا عليه وَيَنْفَى الضَّيْمَ عن كُلِّ بائِسٍ

ولما كان الجهاد خلقا من الأخلاق يحتاج إلى التمسك بالدين وضبطاً للنفس
وللعقل الراجح والمعرفة التامة ناهيك عن (الجانب المعنوي في الإنسان حين يؤكد
ضرورة رعاية الأخلاق في مجال تربية السلوك الخلقي)^(٥)، لذا لعبت الأسرة داخل

(١) انظر: ديوان ابن زيدون عصره وحياته وأدبه، ص ١٦، شرح على عبد العظيم، مطبعة الرسالة
١٩٥٥.

(٢) ديوان ابن عبدربه، ص ٢٠.

(٣) انظر: ليقى يروفسال، حضارة العرب في الأندلس، ص ٥، ص ٦٣، ترجمة ضوقان قرقوط.

(٤) انظر: جذوة المقتبس، ج ١، ص ٣٠٩، ترجمة (٣٩١)، تحقيق: د. إبراهيم الإياري.

(*) حَبْوَةُ بن الملامسِ الحَضْرَمِيُّ: وهو أحد النُّزَّالِيَّين المتعصبين لعبد الرحمن بن هشام بن معاوية
حين دخل الأندلس، أنظر: المصدر نفسه، ص ن.

(٥) مجلة الوعي الإسلامي، عدد ٤٨ لسنة ١٩٦٩، القيم الروحية، د. محمد محمود الدوش، وزارة
التربية، الكويت.

المجتمع الأندلسي دورًا بالغ الأهمية خاصة في مستوى تشكيل العقائد والمواقف والقيم الفردية^(١).

وأول ما يطاتلنا في شعر الجهاد قول طارق بن زياد عند فتح الأندلس^(٢):

ركبنا سَفِيناً بالمجاز مُقْبَرَا عَسَى أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مِثْقَالُ اسْتَرَى
نفوسًا وأموالاً وأَهْلًا بِحَبَّةٍ إذا ما تشهينا الشيء منها تيسرا

ولقد تبلور الجهاد في عهد الحكم بن هشام (ت ٢٠٦هـ) حيث كان كثير الغزو^(٣) فهو أول من (جند بالأندلس الأجناد والمرتقة وجمع الأسلحة والعدد)^(٤).

ومما ذكر في أخبارهم أنهم كانوا (أصحاب جهاد ورباط. وذكرو يأس ورغبة في نكاية المشركين، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حيناً)^(٥). ومنهم من كان (يُحْيِي اللَّيْلَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ لَبَسَ قَبَاءَهُ وَسِلَاحَهُ وَمَضَى إِلَى الصَّفِّ حَيْثُ الْقِتَالُ، فَوَقَفَ فِيهِ)^(٦). وكانوا يدعون ملوكهم وشعوبهم إلى الجهاد في سبيل الله بعبادات تتوفر هبة ويكون بالدمع السخي وحيد أسرارهم^(٧). في ذلك يقول ابن دراج^(٨):

(١) انظر: د. أ. محمد بن عبود، التاريخ السياسي والإنساني لآشيبية في عهد دول الطوائف، أنظر: المقدمة، تقديم. و. وليم.

(٢) نفع الطيب: ج١ ص ٢٦٥، وأراء كثيرة حول مدى صحة نسبة هذه الأبيات إلى طارق انظر أحمد هيكل، الأدب الأندلسي، ص ٦٧-٧١، وكذلك الدكتور جرجي الطونوس، طريقة الوجدية وأثرها في الأندلس، ص ٣٩، ط الأولى دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣، وانظر: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: بيروت، ١٩٨٣، وانظر: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: فاشور أنطونية، ص ٤، باريس، بولس كنز الكتبي، ١٩٣٧.

(٣) ابن خلدون، العبر وتاريخ المبتدأ والخبر، ج٤، ص ١٢٥.

(٤) أخبار مجموعة، ص ١٣٢-١٣٣، وابن الأبر، الحلة السيرة، ج١، ص ٤٩.

(٥) الحشني، قضاة قرطبة، ص ٣٨، تحقيق: د. إبراهيم الأبياري.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٧) بالنبأ تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٤٨.

(٨) الديوان، ص ١٢٧-١٢٩.

جَاهَرَتْ خُرْبُ بِلَادِهِمْ بِجِهَادِهِمْ حَتَّى غَدَوْا وَهُمْ لَهَا أَسْرَارُ
وَمُجَاهِدًا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادُهُ وَاللَّهُ أَبْصَرَ فَيْكَ مَا يَخُتَارُ

هذا وقد وجدنا (أقدم صور الوقائع البحرية تردُّ عند شعراء القرن الرابع الهجري فقد ساق جملة من أشعارهم أبو عبد الله الكتاني ويقرن ذكر ابن هانيء الأندلسي (ت ٣٦٢هـ) يوصف الأساطيل^(١)) هذا بالنسبة للجهاد - أمّا من ناحية الحق فالإنسان بطبيعته محكوم بقيم مجتمعه وهو مرآة تجسد مفاهيم سائدة وضاغطة^(٢) ومن حق الباحث أن ينظر بعين العقل ويصدر عن تأمل حكيم خالص إلى الترف والمحافظ والتراث وإلى جماعات أهل الحق من الثائرين من العلم وقارعى طول الثورة والناهين عن المنكر والأمريين بالمعروف والزهاد من العباد^(٣).

ذلك (إن استيفاء الحق من غير ظلم، كالتواضع في آداء الحق من غير ذل)^(٤). وما احسن قول عالم الأندلس المالكي عبد الملك السّلمى المشهور بابن حبيب المتوفى (٢٣٩هـ) وقد ربط بين الحق والوضوح والنور الذى ينير الظلمات ويكشف الكربات فى قوله^(٥):-

صَلَّى إِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى هَادَى الْبَرِيَّةَ كَاشِفَ الْكُرْبَاتِ
وَعَلَى ضَجِيعِيهِ السَّلَامُ مُرَدِّدًا مَا لَاحَ نَوْرُ الْحَقِّ فِي الظُّلُمَاتِ
ولقد حقق الأندلسيون من روعة القيم الحضارية ما يستحق كل تقدير ذلك

(١) انظر: الدكتور منجد مصطفى بهجت: البحر فى شعر الأندلس والمغرب، عصر الطوائف والمرابطين، ص ٣٦، ٤٠، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٨٦.

(٢) الدكتور محمد فاروق النيهان، الفضيلة والحق، مجلة الفيصل، عدد ١٥٥، سنة ١٣/١٩٨٩.

(٣) الدكتور قيصر مصطفى، حول الأدب الأندلسي، ص ٦١، مؤسسة الأشرف، بيروت، لبنان.

(٤) أبو حيان على بن محمد التوحيدى، أخلاق الوزيرين مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجى، ص ١١، نقلا عن: المقابسات للتوحيدى، ص ٤٥٨.

(٥) انظر النفع، ص ٤٦.

بإسلامهم الذى يعد أرفع القيم الحضارية وأسماها فى تاريخ البشرية^(١). فالمجتمع الذى يسوده هذا الخلق الرفيع تراه مجتمعا سعيدا قد أحسن إلى نفسه فأحسن الله إليه وفى ذلك يقول يحيى بن الحكم الغزال (ت ٢٥٠هـ)^(٢):-

إِذَا أَخَذْتَ الْحَقَّ مِنْى فَلَا تَلْتَمِسِ الرِّيحَ وَلَا تَرْغِبِ
قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا مَعَاً إِنَّ كَانَ رَأْسَ الْمَالِ لَمْ يَذْهَبِ

أما الحكمة فقد نبغ فى بيئة الأندلس العلماء والحكماء والأدباء والشعراء والفلاسفة والمفكرون والمتصوفة والزهاد وحسبك بآبن جاجة (ت ٥٣٢هـ) وآبن الفرضى (ت ٣٥١هـ) وآبن طفيل (ت ٥٨١هـ) وآبن زهر (ت ٥٩٥هـ)^(٣)، ناهيك عن قدوم الأعلام الذين كان لهم أثر عظيم فى بث بعض العادات الذائعة فى مجتمعاتهم آنذاك. (فمسألة الشريعة والحكمة كانت أقرب إلى المذهب)^(٤).

وقد منَّ الله عليهم بفضل العلم والحكمة يقول أفلح بن عبد الوهاب^(*) بن عبد الرحمن (ت ٢٤٠هـ). مبيناً تفضيل العلم على العبادة^(٥):-

لِلْعِلْمِ فَضْلٌ عَلَى الْأَعْمَالِ قَاطِبَةً عَنْ النَّبِىِّ رَوَيْنَا فِيهِ أَخْبَارُ
فِى الْعِلْمِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ أَخْطَارُ يَقُولُ طَالِبُ عِلْمٍ بَاتَ لَيْلَتُهُ
صَامَ النَّهَارَ وَأَحْيَا اللَّيْلَ إِسْهَارًا مِنْ عَابَدِ سَنَةِ اللَّهِ مَجْتَهِدًا

(١) أحمد الشرباصى، أخلاق القرآن، ص ٣٥١، مطبعة بغداد، سنة الطبع بلا.

(٢) انظر: الدكتور محمد صالح البنداق، يحيى بن الحكم الغزال، ص ٤٤، ٤٥.

(٣) خير الدين الزركلى، الأعلام، ج ٦، ص ٢٥٠، ج ٢، ص ١٤٤.

(٤) ماجد فخرى، آبن رشد فيلسوف قرطبة، ص ٢٧، آجامعة الأمريكية، بيروت. وانظر: علاء الدين على بن عبد الله البهائى الفرولى، مطالع البدور فى منازل السرور، ج ١، ص ٩٩، الطبعة الأولى، سنة ١٢٩٩، مطبعة إدارة الوطن (ورد فيها حكمة تخص الخاصة والعامة)..

(*) عاصر الحكم وعبد الرحمن الأوسط.

(٥) تاريخ الأدب العربى، ج ٤، ص ١٠٩-١١٠.

ولا يغيب عن بالنا حكيم الأندلس يحيى بن الحكم الغزال (ت ٢٥٠هـ) ما قاله
من جميل حِكْمَةٍ فيما يقضى الله للبشر من السعادة في ستر الذنوب:-

ومن إنعام خالقنا علينا بأن ذنوبنا ليست تُفوحُ
فلو فاحت لأصبحنا هروياً فرادى بالفلا ما نستريحُ
أما الخشنى (*) (ت ٢٨٦هـ) فيقول في حكمة الإيمان والتزود بالتقوى^(١):-

تَزُودَ أَخِي مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْكُنَ الثَّرَى وتلتف ساقٌ للنشورِ بساقٍ
أما سعيد^(**) بن إبراهيم (ت ٣٤٢هـ) فحكّمته في الحياة (الموت يدركه)^(٢) انها
يفر).

وقد آذنتُ نَفْسِي بتقويضِ رحلها وأسرعَ في سَوْقى إلى الموت سائقي
ولئني وإن اوغقتُ أو سرتُ هارباً من الموت في الآفاقِ فالموتِ لا حق
أما عبد الله^(***) بن يعقوب الذي كان في أيام الحكم المستنصر فله قناعة تامة بأن

(*) الخشنى، محمد بن عبد السلام من أهل كوره حيّان، انتقل إلى قرطبة فكسناها إلى أن توفي بها. له تأليف
في شرح الحديث وكان خيراً ديناً، انظر: ابن القرض، ج ٢، ص ٢٤، وللمزيد انظر: بالثيا: تاريخ
الفكر الأندلسي، ص ٦٤ (أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٠٦هـ) كان مؤدباً للخليفة هشام وشاعرا
يميل للحكمة والزهد: وانظر المصدر نفسه، ص ٧١-٧٢، ابن الهندي بن أبي زمنين حبيب الصقلي
(أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (ت ٣٢٤هـ) اشتهر في التصانيف والوعظ والزهد وأخبار
الصالحين.

(١) أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٨، ط دار المعارف.
(**) هو سعيد بن إبراهيم بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن خدير ولى الأمير هشام بن عبد الرحمن بن
معاوية (ت ٣٤٢هـ).

(٢) المراكشي، الذيل والتكملة لكتايب الموصول والصلة، تر: ٥٩٠٦، ص ٢٦.
(***) عبد الله بن يعقوب الأعمى (يعرف بعبود) اديب شاعر مكثرت منتجع للملوك أثير عندهم عالم
بالأدب، كان في أيام الحكم المستنصر.

كل شيء إلى زوال وهو يأنف له السؤال وفقر الحال يقول^(١):-

عِزُّ الْفَتَى فِي الْحَيَاةِ مَالُهُ وَذُلُّهُ فِي الْوَرَى سُؤَالُهُ
لَا تَقْتَرِرْ بِأَعْنَتِدَالِ حَالٍ فَعَنْ قَلِيلٍ يُرَى زَوَالُهُ
وَكُلٌّ مَا قَدْ تَرَاهُ حَتْمًا لِأَبَدٍ مَنْ أَنْ تَحُولَ حَالُهُ

ومن جيد الحكمة قول الحاجب المصحفي (ت ٣٧٢هـ)^(٢):-

لَا تَأْمَنْ مِنَ الزَّمَانِ تَقْلِبًا إِنَّ الزَّمَانَ بَاهِلُهُ يَتَقَلَّبُ
وَإِذَا أَتَتْ أَعْجُوبَةٌ فَأَصْبِرْ لَهَا فَالْدَهْرُ يَأْتِي بِالذِّى هُوَ أَعْجَبُ

ومن جميل الفلسفة والحكمة يقول محمد بن عثمان (ت ٣٨٧هـ)^(٣):-

لَا أَرِ لِلْمَرءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَانِيهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ: طَابَ مَسْكُنُهَا وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ: خَابَ بَانِيهَا
أَمْوَالُنَا لَذَوَى الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لْخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا
وَلِلْحَتُوفِ تُوبَى كُلِّ مَرْضُوعَةٍ وَلِللَّيْلِ بَرَأَ الْأَرْوَاحُ بَارِيهَا

الصبر:

أما نعمة الصبر فقد مَنَّ اللهُ بها على عباده الصالحين الذين يرمون شكر نعماءه
وجزيل مثوبته. وهذا أبو عثمان سعيد بن جودى السعدى (ت ٢٨٤هـ) يجد الصبر
الملاذ الوحيد لتنفيس كربته فيقول^(٤):-

(١) جذوة المقتبس، ج ٢، ص ٤٢١-٤٢٢ (٥٧٣).

(٢) محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، ص ١٧٧، مستلة كلية التربية، جامعة الموصل.

(٣) التكملة لكتاب الصلة، ج ٢، ص ١٨٦، ترجمة ١٩٢٥.

(٤) الحلة السيرة، ج ١، ص ١٥٥-١٥٦، وردت له ترجمة موجزة في جذوة المقتبس، ج ١، ص ٣٥٦، ترجمة (٤٦٧)، بلا أشعار.

أَمْسْتَنْصِرًا بِالصَّبْرِ قَدْ دُفِنَ الصَّبْرُ مَعَ الْحَسَنِ الْمَأْمُولِ إِذْ ضَمَّ الْقَبْرُ
خَلِيلِي صَبْرًا، رَاحَةَ الْحَرْفِيِّ الصَّبْرِ وَلَا شَيْءَ مِثْلُ الصَّبْرِ مِنَ الْكَرْبِ لِلْحَرْ

وقال جهور بن عبيد الله بن أبي عبده الوزير أبو الحزم (ت ٢٩٦هـ) ^(١):-

أَصْبِرْ فَلَسْتُ تَرَى عَلَى أَحَدٍ حَمَاهُ الصَّبْرُ عَارًا
فَالصَّبْرُ أَنْفَعُ دَخْرِهِ لَوْ كُنْتُ آيَتَهُ اخْتِيَارًا

وَلَا تَغْرِبْ عَنِ الْبَالِ بِأَنَّ نِعْمَةَ الصَّبْرِ عَلَى الْبُلُوِّ مُطَابِقَةٌ لِمَبَادِي الدِّينِ الْحَنِيفِ
الْحَائِثَةِ عَلَى الْخَلْقِ الرَّفِيعِ ^(٢).

وَيُرَى جَعْفَرُ بْنُ عَثْمَانَ الْمُصْحَفِيُّ (٣٧٢هـ) الصَّبْرَ عَلَى الْأَيَّامِ هُوَ الْمِفْتَاحُ الَّذِي
يَفْرَجُ بِهِ الْكَرْبَ، وَبَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْفَرَجِ وَفِيهِ نَفْيٌ لِلذَّاتِ الْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي كَانَ يَنْقُصُهُ
الْإِبَاءُ وَالْكَرَامَةُ فِيهَا ^(٣):-

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا تَوَلَّيْتُ وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ
فَوَاعَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتَذَلَّتْ
وَكُنْتُ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً فَلَمَّا رَأْتُ صَبْرِي عَلَى الذَّلِّ ضَلَّتْ

وبصورة إيحائية عبّر الشاعر أبو مروان عبد الملك الجزيري ^(٤) (ت ٣٩٤هـ):-

أَلْوَى بَعِزْمٍ تَجْلِدِي وَتَصْبِرِي نَأَى الْأَحِبَّةِ وَاعْتِيَادِي تَذَكَّرِي

(١) الحلة السرياء، ج١، ص ٢٤٥-٢٥٠.

(٢) انظر: ابن عبد ربه وعقده، ص ٢٠١-٢٠٢، وانظر: الديوان، ص ٧، والدكتور متولى حميد، قضايا أندلسية، ص ٣٣٥، ط ١٩٦٣، دار المعرفة.

(٣) انظر: ما تبقى من شعر المصحفى، ص ١٨٠، وانظر نفح الطيب، ج١، ص ٥٩٣. والرواية مختلفة عند د. نيكول، مختارات من الشعر الأندلسي، ص ٣٦، (فيا عجبا) و(اصطباره).

(٤) أبو مروان الجزيري، ص ١٠، وانظر نظيره، م ن، ص ٤٩، ٥٩، ٦٥، تحقيق هلال ناجي.

وجنيتُ صبراً بعدها مُرَّ الجنى ومزجتُ سماً درة العيش المرى
واصبر وإنَّ جاروا فَرَبَّةً فتنه تهاتها أنصار جَوْر الجورِ
وإذا عراك الخير فاشكر وانتشر وإذا عراك الشر فاصبر وابشر
واصبر على نَوْب الزمان فإنها قدرُ الإله الواحد المبتكرُ

فالتحصن بالصبر يقوى العزيمة ويشد الأزر لمواجهة عَثَارًا الوقائع ويقول في ذلك محمد بن (*) شخيص^(١) (ت قبل الأربعمائة):-

ولا جيشُ إلا الصبرُ والدعوة التي وقى الله راعيها عَثَارًا الوقائع
إذا الحرُّ لم يجعل من الصبر درعه وإن لم يُوفَّ الموت جَفْنَ المدامع

وكانت أشعارهم تنبئها ذهنيا إلى هذه القيمة الخلقية خاصة عند النوائب والمحن. فقد كتب الجزيري (ت ٣٩٤هـ) في معتقله قصيدته المشهورة التي مطلعها^(٢):-

أَلْوَى بِعَزَمِ تَجَلْدِي وَتَصْبِرِي نَأَى الْأَحْبَةِ وَاعْتِيَادِ تَذَكَّرِي

وكتب أبو عبد الله الغساني إلى المنصور بن أبي عامر يستعطفه بعد أن سجنه قائلا^(٣):-

(*) محمد بن شخيص (هو محمد بن مطرف بن شخيص أبو عبد الله) وصفه الحميدى بأنه كان من أعيان الشعراء المتقدمين سالكا إسايلب الجد والهزل له قصائد ومقطعات في النشبهات، توفي قبل الأربعمائة.

(١) المقتبس في اخبار بلد الأندلس، ص ٥٤.

(٢) انظر: قصيدة الجزيري، ص ١٠.

(٣) ابن الأبار، اعتاب الكتاب، ص ١٩٤، تحقيق: د. صالح الأشر. وانظر: الدكتور عمر عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص ٢٤٠.

دَعَوْتُ لِمَا عَيْلَ صَبْرِي فَهَلْ يَسْمَعُ دَعْوَايَ الْمَلِكُ الْحَلِيمُ

وقد يُبلغُ المرام بالصبر بعد المكابدة وطول الانتظار يقول هارون بن صالح بن جندل الأديب (ت ٤٠١ هـ) ^(١):-

فكابدوا المجد حتى كلَّ أكثرهم وعانقَ المجدَ من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجدَ تمرًا أنْتَ أكِلُهُ لس تبلغ المجدَ حتى تُلْعَق الصبرا

ويقول حسان بن مالك (ت ٤١٦ هـ) أنه سوف يجازي لكثرة صبره وتجلده ^(٢):-

إذا كان مثلي لا يُجَازِي بِصَبْرِهِ فَمَنْ ذَا الَّذِي بَعْدِي يُجَازِي عَلَيَّ

وهكذا وجدنا الصبر عندهم منبعثا من المعنويات والقيم الخلقية.

الوفاء:

ومن خلال استطلاعنا الشعر تبين أن الأندلسي كان أنموذجا أصيلاً في هذه السجية العربية التي أصّر عليها الشعراء.

وقد دعت هذه المثالية الخلقية الأحبة للوفاء والإخلاص تجاه الحبيبة فلا يبرح حنينهم للبعد والنوى، قال يوسف بن هارون الرمادي ^(٣):-

(١) انظر: مطمع الأنفس، ص ٢٦٦.

(٢) نفع الطيب، ج ١، ص ٤٣٦-٤٣٧، تحقيق: د. إحسان عباس، وانظر: تاريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٣٦٨. وقد أكثر ابن درّاج القسطل من الصبر في ديوانه، انظر: ص ٤، ١٤، ٦٦، ٧٥، ٧٦، ١٠٢، ١٣١، ١٣٩، ١٨٣، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٩، ٣٣٢، ٣٤٥، ٣٩٢، ٤٠٩، ١٤٠، ٤٢٥، ٤٥٦، ٤٦٦.

انظر: ابن شاعر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها: ج ٢ ص ١٤٩-١٥٠، ترجمة (٢٠٩) عبادة بن ماء السماء الأندلسي (ت ٤٢٢ هـ)، تحقيق: د. احسان عباس.

(٣) انظر شعر يوسف بن عارون الرمادي، ص ٨٣، قطعة (٦١)، والتشبيهات، ص ١٦٠، قطعة (٣٤٢).

وَقَفْتُ عَلَى الدَّارِ الْخَلَاءِ كَأَنِّي
رَمَيْتُ جَمَارَ الدَّمْعِ فِي مَوْقِفِ النَّوَى
وَقَفْتُ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الصَّبْرِ بَلْقَعُ
وَقَدْ طَفْتُ أَسْبَاعًا يَرْسُمُ وَأَرْثَعُ
ويقول الغزال في المعنى ذاته^(١):-

وَفَائِي إِذَا مَا غَبْتُ عَنْكُمْ مِنْجَدُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي الْوَفَاءُ سَجِيَّةُ
وغيري ذو غدرٍ أَوَّانٍ يَغِيبُ
كُنْتُ لِغَيْرِ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَنْيْبُ
ويطالعنا أيضا بأبيات يظهر فيها تمسكه بالوفاء وحفاظه على الود لأصحابه
قائلا^(٢):-

فَوَاللَّهِ مَا يَأْتِرُ يَمِينِي، وَلَا وَقْتُ
فَأُبْتُ إِلَى صَحْبِي وَلَمْ أَكُ أَيَّامًا
لَهُ، غَيْرَ أَنِّي ضَامِنٌ بِوَفَائِي
فَكُلُّهُ يَكُلُّ يَغْدِينِي وَحَقُّ فِدَائِي
وربما أبدى الشاعر من الوفاء ما كان محطاً لاقواهم في ذلك المجتمع الذي
انصهرت فيه الأجناس وذابت القوميات.

الحلم:

ومن النعم التي منها الله على الإنسان العقل وزينه بفضيلة الحلم وهو من القيم

(١) نفع الطيب، ج ٢، ص ٢٧٤، وقد خلا منه الشعر المجموع محمد صالح البنداق، والدكتور حكمة
الأوسى في كتاب (فصول من الأدب الأندلسي).

(٢) انظر: محمد صالح البنداق، يحيى بن الحكم الغزال، ص ١٧٥، قدم له د. أحسان عباس، دار
الآفاق، بيروت.. وقال أبو الوليد بن القرض (ت ٤٠٣هـ) في الوفاء تجاه اخيية، انظر: تاريخ
الأدب العربي، ج ٤، ص ٣٣٦، وعبر يحيى بن هذيل (ت ٣٨٦هـ) عن وفائه، انظر بغية الملتبس،
ج ٢ ترجمة (١٥٠)، ص ٦٨٣-٦٨٤، نوح إبراهيم الإيباري، كما فعل ابن البقال الضيرير (ت ٤٠٦هـ)،
هـ، وانظر: تاريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٣٤٦، وانظر: ديوان ابن دراج القسطل، ص ١٦، ص
٣٨، ٢٧، ٤٢، ٤٧، ٥٢، ٧٣، ١٥١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٥٩، ٢٨٢، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٨، ٣٤٤،
٤٥٧، ٤٤٤، ٤٤٣، ٤٤١، ٤٢٨، ٣٥٨.

الخلقية التي اتصف بها الأندلسى فى القرن الثانى والثالث الهجريين بعد أن أحسَّ العواقب الوخيمة التى يخلقها الانفعال وسرعة الغضب^(١).

وقد استهجن الشعراء صفة الجهل والحمق فقال أحدهم^(٢):-

إنى أرى الحلمَ محمودًا عواقبُهُ والجهلُ أفنى من الأَقوامِ أقواما

والحلم من الفضائل المعنوية التى تكسب المعتبر عبرة وقد عبر الغزال عن ذلك المعنى بقوله^(٣):-

وصرتُ لا أنهضُ إلا بعدَ سرِّ
لو ضامنى من ضامنى لم أنتصر
فانظرُ إلى واعتبرْ ثم اعتبر
فإنَّ للحليم فى مُعَبَّر

ومن لوازم الحلم الثانى وبعد النظر فى الأمور يقول محمد^(*) بن الحسين الطنبى (ت ٣٩٤هـ)^(٤):-

وَوَعْدُ ان اردت له عِقَابًا عَفَى عن دينه حَسْبى ودينى
ولولا الحلم ان له لجامًا لداس الفحلُ بطن ابن الليون

(١) شهاب الدين محمد بن أحمد بان الفتح الأشهبى، المستطرف فى كل قن مستطرف: ١/ ١٧٨، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، سنة الطبع بلا.

(٢) العقد الفريد، ج ٢، ص ١٢١.

(٣) يحيى بن الحكم الغزال، ص ١٩١..

(*) محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن زياد بن كعب بن مالك الحصانى، شاعر مكثر واديب مفتن ومن بيت أدب وشعر وجلالة ورياسة كان فى أيام الحكم المستنصر.

(٤) تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ١٤.

ويرى الجزيري (ت ٣٩٤هـ) أبعادًا أوسع من أن يقف عند حدود الحلم
قائلًا^(١):-

واذا أتيت ندى قوم خالقهم باسم السّلام وردّ لحلم واصدِرِ
واصفح عن العوّاء إن قيلت وعُدَّ بالحلم منك على السفية المغورِ

وقد ردّد يوسف بن هارون الرمادي^(٢) (ت ٤٠٣هـ) في شعره شخصيات
ضربَ بهم المثل في الحلم والوقار والكرم والعقل:

إياسًا وبسطامًا، وحاتم طيء وأحنف^(*) عند الحلم وابن المقفّع

وعبر ابن درّاج^(٣) عن الحلم بصور شتى. منها ما يجب توافره من سمات تساعد
في سلوكه على تجنب كل العوامل التي تتعارض وقيمة الحلم.

العفاف:-

لقد نالت المثالية الشعبية في المجتمع الأندلسي إعجابًا فكانت واسعة النطاق
تحولت إلى ترانيم تغنى بها الشعراء. علمًا أن مؤثراتها نابعة من الثقافة الإسلامية التي
نهضت وازدهرت في تلك الفترة.

(١) أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب والحسبة، ص ٦٠.
(٢) انظر: شعر الرمادي يوسف بن هارون، ص ٨٦، جمعه وقدم له ماهر زهير جرّار، المؤسسة العربية
للدراسة والنشر، ط ١، ١٩٨٠.

(*) الأحنف بن قيس بن معاوية المنقرى التميمي، أبو بحر سيد تميم وأحد العظماء والدهاء الفصحاء
الشجعان. يصرب به المثل في الحلم أدرك الإسلام ولم ير النبي. انظر طبقات ابن سعد، ج ٧، ص
٩٣-٩٧، ط دار صادر بيروت ١٩٥٨.

(٣) انظر: ديوان ابن درّاج القسطلی، ص ٢٤٧، ص ٩٦، ١٣٢، ص ٢٧٠، وانظر أبياته التي وردت في
هذه الفضيحة في م ن على سبيل المثال، ص ٥٨، ٦٧، ٩٦، ١١٧، ١٦٧، ١٦٨، ٢٠٧، ٢١٠، ٤٠٣،
٤٢٢، ٤١٦، ٤٢٩، ٤٣٢، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٢، ٣٦٤، ٣٧٨.

وانظر: محمد بن مسعود الغساني (ت ٤٠٠هـ) في مخاطبة المنصور بن أبي عامر في السجن، النفخ: ج ٣
ص ٣٨٩.

وتتفق تعابير الشعراء مع تعبير الفقهاء في حبهـم لغير الفاحشة وهو قريب من شعر الحسين بن السراج^(١):-

والله والله ما حُبِّي لفاحِشَةٍ أعادَنِي الله من هذا وعافاك

وان كثيراً من معاني الحب التي طرقتها شعراء القرن الرابع، قد استمرت بعدهم وربما أخذت في الأزدیاد والتفصیل.

ونلمح في أبيات^(*) الجياني (٣٦٦هـ) سمات الطهر والعفاف وخير وما يمثل هذا مقطوعة في وصف عفته معبرا عن تجربته العاطفية الصادقة بوقار وسمو، على رغم من كان يدعو إلى الغواية والضلال تغني بعفته التي جعلها طبعاً له لا يستطيع مخالفتها قائلاً^(٢):-

وَمَا مِنْ لَحْظَةٍ إِلَّا وَفِيهَا إِلَى فِتَنِ الْقُلُوبِ لَهَا دَوَاعِي
فَمَلَكَتِ النِّهْيَ جَمَحَاتٍ شَوْقِي لِأَجْرِي فِي الْعَفَافِ عَلَى طِبَاعِي

والعفة عند أحمد الجياني (ت ٣٦٦) تلازمه في اليقظة والنام فيقوّل في موضع آخر^(٣):-

بِأَيِّهِمَا أَنَا فِي الْحُبِّ بَادِي بِشُكْرِ الطَّيِّفِ أَمْ شُكْرِ الرِّقَادِ
سَرَى وَأَرَادَنِي أَمْلَى، وَلَكِنْ عَفَفْتُ فَلَمْ أَتْلَمْ مِثُّهُ مُرَادِي
وَمَا فِي النَّوْمِ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ جَرِيتُ مِنَ الْعَفَافِ عَلَى اعْتِقَادِي

(١) الدكتور بدير متولى، قضايا اندلسية، ص ٢٧٣، مطبعة المعرفة، ١٩٦٣، وأشار إلى قلائد العقيان، ص ٢١٨، ولم أعثر على البيت.

(*) انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء م ٢ ج ٤ ص ٢٣٦-٢٣٧، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طبعة أخيرة.

(٢) انظر: بحث نزهة جعفر حسن، أحمد بن فرج الجياني، ص ٢١٣، مجلة آداب المستنصرية ١٩٨٨، كلية التربية، الموصل.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

ولقد تعدى عفافه إلى الحلم والنوم على صفاء السريرة ونقاء الخاطر وهو تأكيد
لسمة العفاف التي تبدو واضحة مبتعدًا عن الضلالة والبذاءة وفحش القول وكل
ما يחדش الحياء فقد عاش للحب يستعذب آلامه وعذاباته.

وقد أشهر المقرئ أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن شفيع البطي صاحبته ونفسه
بعيدين عن سوء الخلق وعن كل فاحشة قانعين بما قسم لهم الله قائلًا^(١):-

فَنَعَتْ بِالْعَفَافِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ فَاسْتَرَحْتُ مِنْ دَهْرِهَا بِالْقَنَاعَةِ

وقد سيّء العفاف واضحة العيان عند ابن درّاج القسطلي (ت ٤٢٩هـ) في
قوله^(٢):-

مِنْ كُلِّ رُوحٍ بِالْعَفَافِ مَقْدَسِي فِي كُلِّ جَسَمٍ بِالسَّنَاءِ مَقْلَدِي
بَعُدُوا عَنِ الرَّجْسِ الدَّمِيمِ وَظَهَرُوا فِي مَنْشَرٍ لِلْمُنْجِبِينَ وَمَوْلَدِي

هذه القيمة التي تغني بها الشعراء في الميزان الحقيقي للاستقرار النفسي الذي
اتصفت به الفضائل الأخلاقية المتمثلة بطهارة العرض ونقاء الثياب.

العفو عند المقدرة:

أما العفو عند الاقتدار فهو من الشيم الخلقية التي اتسم بها أنام الأندلس وعبروا
عنها برؤية خاصة وفي هذا الأطار يقول ابن عبد ربه^(٣):-

تَطَامَنُ لِلزَّمَانِ يَجْزُكَ عَفْوًا وَإِنْ قَالُوا: ذَلِيلٌ، قُلْ: ذَلِيلٌ

وقال أيضًا:

مَا أَنْصَفَ الْحُبُّ قَلْبِي فِي حُكُومَتِهِ وَلَا عَفَا الشَّوْقُ عَنِّي عَفْوُ مُقْتَدَرٍ

(١) ابن سعيد، المغرب في حل المغرب، ص ٧٨، وانظر: نظيره في الذخيرة، م ٢، ق ٣، ص ٨٩٠-٨٩٢
، الشيخ ابن السيد البطليوس (ت ٤١٦هـ).

(٢) الديوان، ص ٦١.

(٣) الديوان، ص ٧٥، وانظر: ص ١٤٥.

وفى الصفح والغفران عن جلل الذنوب يقول المصحفى^(١):-

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَلَا رَحْمَةً تَجُودُ بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْعَدَا
لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ فَأَنْتَ أَجَلٌّ وَأَعْلَى يَدَا

وكتب المصحفى إلى المنصور بن أبى عامر (٣٩٢هـ) يطلب العفو ومديد
المساعدة والعون والصفح عن الأساءة والرحمة، قائلا^(٢):-

إِذْ قَادَنِى نَحْوُكَ الْأَذْعَانُ وَالْتَدَمُ هَبْنِى أَسَاتُ فَايْنِ الْعَفْوُ وَالْكَرَمُ
تَرَى لَشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ الْأَيْدَى إِلَيْهِ أَمَا
بَالِغَتْ فِي السُّخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْجَحُوا رَحِمُوا

وكثيرا ما انشد الشعراء فى الإحسان والصفح عن الإساءة.. ومنهم صاحب
المثل العليا ابن درّاج (ت ٤٢٩هـ) يقول فى العفو والصفح^(٣):-

عَسَى رَاحَةَ الْمَنْصُورِ تُعَقِّبُ رَاحَةَ وَحُتْمَ لَأَمَالِ الْعَفَاةِ عَسَاهَا
قَلْبِهِ مِنْهُ قَائِدُ الْحَمْدِ قَادَهَا وَمَنْى مَخْذُ الْخَطُوبِ حَدَاهَا

وكثيرا ما دعا ابن درّاج إلى المسامحة والصفح عن الإساءة والدب عن الذنب
وأبياته الجمة فى الديوان توضح ذلك.

(١) انظر: محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفى، ص ١٨١، كلية التربية، جامعة
الموصل تحقيق: د. إحسان عباس، وأنظر النفع، ج ١، ص ٥٩٥.

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٠١، ولما عتب المنصور بن أبى عامر (ت ٣٩٢هـ) على عبد الملك الجزيرى
(٣٩٤هـ) سجنه ثم صفح عنه قال كتب به اليه.

انظر: النفع، ج ٤ ص ٦٦، ط ١٩٦٨، وقد حدث سهوا للاستاذ هلال ناجى حيث نسب شعر
المصحفى الوارد فى النفع إلى الجزيرى، انظر قصيدة أبا مروان عبد الملك الجزيرى، تحقيق: هلال
ناجى.

(٣) انظر الديوان: ص ١١، ٥٠، ٦٢، ١٣٤، ١٤٦، ١٥٦، ٢٣٢، ٣٤٤، ٣٥٥، ٤٤٠، ٤٢٩، ٤٤٨.

الله^(*) بن عبد العزيز القرشى^(١).

فأصبح مغبوطاً وتُصلحُ حالِيَّةُ
فأطلق فينا قالةً هِي نَابِيَّةُ
إذا ما دنا أنائهُ رِيحُ ثمانِيَةِ

وقد تضمن معنى العفو فى قول عبد
إذا خلتُ أن العفو منك مُصابحى
أتاح امرأ لا يتقى الله فى امرئ
فأصبحتُ كالرجى الحياة بمكة

تلك الأبيات والقصائد تبين الشئائل العربية الإسلامية فى فصيلة العفو عند
الافتقار والصفح عن المسىء.

إنجاز الوعد:-

من تسنى له صون النفس وإنجاز الوعد بلغ المرتبة العليا فى الدين والمنزلة
المحترمة بين الناس فقد أثر ابن عبد ربه فى إشعاره القيم السائدة فى مجتمعه، كالكرم
والشجاعة والتواضع وإنجاز الوعد والحفاظ عليه يقول^(٢):-

بادِرْ إلى التوبة الخالصاء مُجْتَهِدًا والموتُ ويحك لم يَمُدَّدْ إليك يدا
وارقب من الله وعدًا ليس يخلِفُهُ لا بدُّ لله من إنجازِ ما وَعَدًا
وله أيضًا فى تمنى إنجاز وعد الحبيب^(٣):-

كم موعِد لي من الحاظ مقلتِهِ لو آتَهُ موعِدٌ يَفْضَى بِإِنْجَازِ
ومن شمائِلهم الحفاظ على العهد والالتزام به والمحافظة على الطباع الكريمة فى
ذلك يقول الحاجب المصحفى^(٤):-

(*) .

(١) التشبيهات، ص ٢١٧.

(٢) عبد الله بن عبد العزيز القرشى كان يلقب بالحجر وهو فى أولاد الحكم الربضى، أديب شاعر،
الحميدى، جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس، ج ٢، ص ٤١٥، ترجمة (٥٥٦).

(٣) انظر الديوان، ص ٥١، والنفع، ج ٤، ص ٣٢١، الحماسة المغربية، ج ٢، ص ١٤٣.

(٤) ما تبقى من شعر الحاجب المصحفى، ص ١٨٣.

كَأَنَّكَ قَدْ أَمَطَرْتَهَا دِيمَةَ الْمَجْدِ
وَأَجَرْتِ فِي أَغْصَانِهَا كَرَمَ الْعَهْدِ

ومما قيل في المصحفى:-

لَقَدْ حَفِظَ الْعَهْدَ الَّذِى قَدْ أَضَاعَهُ لَدَى سَوَاهِ وَالْكَرِيمِ حَفِيزُ

وابن دراج يبرئ الخالق من إخلاف الوعد فيقول^(١):-

وَعَدُ مِنَ اللَّهِ فِى إِعْزَازِ دَعْوَتِهِ وَحَاشَ لِلَّهِ مِنْ إِخْلَافِ مَوْعِدِهِ

ويعدّ ابن دراج القسطلئ أكثر الشعراء التزاما بانجازا لوعده ديوانه^(٢).

التواضع:-

التواضع نقيض للكبر والتعالى، وردع النفس عن الأهواء والابتعاد عن الأنفة
يقول عبد الملك بن سعيد المرادى (ت ٣٠٨هـ)^(٣):-

مُتَوَاضِعًا لِجَلَالِهِ مُتَحَشِّمًا مُتَبَرِّعًا لِمَا يُرْعَقُ بِقِتَالِ

فالتواضع نعمة يمنحها الله لعباده الرحمن فيضفى عليهم نورًا من الجلالة
ويرفعهم ويجلّهم فى أرضه، يقول المصحفى^(٤):-

إِذَا مَا تَرَأْتَهُ الْعَيُونُ تَوَاضَعَتْ لِأَجْلَالِهِ عَنْ أَنْ نَقْلَ شُؤْنِهَا

عليها من الرحمن نور جلاله يقصر بالألحاظ أن تستبينها

(١) الديوان، ص ٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥، ٥٢، ٦٢، ٢٠٤، ٢٧٥، ٣٢٣، ٤٢٠.

(٣) أزهار الرياض فى أخبار عياض، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٤) ما تبقى من شعر الحاجب المصحفى، ص ٢٠٠.

والتواضع مدح بعضهم ابن عبد ربه قائلاً^(١):

فتى زاده عَزُّ المهابَةِ ذَلَّةُ
فكل عزيز عنده متواضعُ
وقد حذر الغزال الغنى من الغرور وألزمه التواضع وأنذره من آفة التعالي
يقول^(٢):-

إذا كنت ذا ثروة مِنْ غِنَى
فأنت المُسَوَّدُ فى العالم
وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبِ صُورَةٍ
تُخْبِرُ أَنَّكَ مِنْ آدَمِ
الله يرفع قدر المؤمنين فهو يعزُّ من يشاء ويذل من يشاء فإن رفع قدر فلا مذل له.
يقول القسطلي^(٣):-

فَلا تَواضَعَ قَدْرُ أَنْتَ رَافِعُهُ
ولا تَرْفَعُ قَدْرُ أَنْتَ وَاضِعُهُ
وله أيضاً^(٤):-

ملكٌ تواضَعَ مِنْ عِزِّ مُلْكِهِ
كسا دَهْرَهُ مُطَّةَ الْكِبَرِيَاءِ
وقد زاد إدراكهم لفضيلة التأدب إلى أفرزتها الحضارة الإسلامية.

وتواضعتْ صيدُ الملوكِ مهابةً
يَضَعُونَ أَوْجَهُهُمْ مَكَانَ^(٥) الْأَرْجْلِ

أما القناعة فيرى البعض فيها الغنى، والقناعة تغنيك عن سد الحاجة وترفعك
عن المذلة في طلب المساعدة من الناس والمهانة من ذلة المسءول وابن عبد ربه
الأندلسي ينصح الآخرين من العقلاء وصولاً إلى العزة والكرامة بين الناس بتجنب

(١) ابن عبد ربه وعقده، ص ١٧٢.

(٢) محمد صالح البنداق، يحيى بن الحكم الغزال، ص ٢٠٨.

(٣) الديوان، ص ٣١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

(٥) نفسه، ص ٣٥٧.

لباس الحرير والتختم بالجواهر والأحجار الكريمة فيقول^(١):-

تَجَنَّبُ لِبَاسَ الْحَزَانِ كُنْتَ عَاقِلًا وَلَا تَخْتَنِمُ يَوْمًا بِفَصٍّ زَبْرَجِدٍ
وَلَا تَتَطَلَّبُ بِالْغَوَالِي تَعَطُّرًا وَتَسْحَبُ أَذْيَالَ الْعَلَاءِ الْمُعْضَدِ^(٢)

ويجدد سمات القناعة وصولاً إلى التقوى بأن يكن حملاً أغبراً شاعثاً ملتحفاً بها غلظ من اللباس، فيقول^(٣):-

وَكُنْ حَمَلًا فِي النَّاسِ أَغْبَرُ شَاعِثًا تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي إِزَارٍ وَبَرَجِدٍ^(٤)

وتعدّ القناعة أعلى رتبة من درجات الإيثار، وفضيلة من الله تعالى يقول الجزيري (ت ٣٩٤هـ)^(٥):-

قَارِصَ الْقَنَاعَةِ رَتَبَةٌ تَسْعِدُ بِهَا وَاحِرْصَ عَلَى إِثْيَارِ دِينِكَ تَوْثُرُ

الصدق:-

من أراد أن يلم بالحقائق والمعارف والقيم الشائعة في زمان ما عليه أن يراجع شعر قومه الذي استحال سجلاً حافلاً بكل ما يبتغيه. حيث قال طارق بن زياد في خطبته عند فتح الأندلس (وليس لكم والله الآ الصدق والصبر)^(٦) وكان من تقيد أخبارهم، وتخليد مآثرهم، ما يبقى لهم لسان الصدق الذي هو بدل البقاء والخلد^(٧). وقد قال عز وجل ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٨).

(١) ديوان ابن عبد ربه، ص ٤٨.

(*) المعضد، ثوب له علم في موضع المعضد.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(**) البرجد: كساء غليظ وأنظر أبيانا في القناعة في طبقات النحويين واللغويين قسم الأندلس، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٣) أنظر: قصيدة الجزيري، ص ٢٦٥.

(٤) قصة الأدب في الأندلس، ص ٣٤٥.

(٥) طبقات النحويين واللغويين، ص ١٧.

(٦) سورة الشعراء: آي ٨٤.

وخلفاؤهم وفقهاؤهم إذا حدث عنهم كانوا (من معادن الصدق) ^(١) وهذه السريرة النقية أكدها أبو مروان عبد الملك الجزيري (ت ٣٩٤ هـ) ^(٢). حين أنشد قائلا:-

خلفاء صدقٍ وطدوا دين القوى وأروا معالمه عيون النظر
ولصدق حديثك كل من حدثته واصدع بحق من قضائك تُشكر
وتقبلوا نصحي وكونوا أسوة فيه بصدق تأملٍ وتدبر
وقد يكون الصدق تعبيرًا عن الذات في النصيح والإرشاد فيمنّ عليه المحبوب
بالنعمة الوفيرة في ذلك يقول ابن درّاج ^(٣) القسطلي:-

حَمَلْتُ عَلَيْهَا كُلَّ حَامِلٍ نِعْمَةً يُمْنًا مَقْرُونًا بِهِ الصَّدْقُ وَالنُّصْحُ
ويتقرب المرء من خالقه بهذه القيمة العظيمة التي تنجي صاحبها من سوء العاقبة وتقربه من العليين ^(٤).

لعل آمالنا في الله قد صدقت وصدق موعده بالفتح قد أنا
وَصِدْقُ مَا قَدْ عَهَدْتُمْ فِي كَرَائِمِكُمْ إِنَّ لَمْ يُلْكَنْ أَكْفَاءً فَأَكْفَانَا
وقد عَجَّ ديوان ^(٥) القسطلي بفضيلة الصدق وماهية القيم.

العدل

لقد أصبح العدل منهجًا يقوم عليه الخلفاء والملوك والسيّر به نحو مرضاة الله.

(١) نفع الطيب، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٢) قصيدة أبي مروان بن إدريس الجزيرة، ص ٥٨، ٦٠، ٦٦.

(٣) الديوان، ص ٣٩٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٨-١١٢.

(٥) أنظر الصفحات التالية في الديوان، ص ٦١، ٨٧، ٨٨، ٩٢، ٩٨، ١٠٨، ١١٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٧،

١٥٥، ٢٠٢، ٢١٧، ٢٧٠، ٢٧٨، ٣٥٩، ٣٨١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤١٤، ٤٢٦، ٤٣٨، ٤٤٢،

٤٤٣.

فلا يُقال (هذا حق بعدل، ولكن يُقال هذا عدل، لأن الحق أول العدل) ^(١). يقول أبو الخطار حُسام ^(*) بن ذرار في معاتبه المروانيين ^(٢).

أفأنتم بنى مروان قيساً دماءنا وفى الله إن لم تُنصفُوا حَكَمَ عدل

ويقول أحمد بن فرج الجياني (ت ٣٦٦هـ) ^(٣):-

فاقض بالفضل للوفاء على الغد تكن إن حكمتَ أعدلَ قاض

ومن شروط الإمام أن يكون عادلاً منصفاً، وعلى هذا المنوال نسج ابن هاني أشعاره في معاني العدل في هالة من القداسة التي يضيفها الرجل إلى القيم الخلقية ^(٤).

إمامٌ عدل ومن فى كل ناحية كما قضاوا فى الإمام العدل واشترطوا
لا يفتدى فرحاً بالمالِ يجمعه ولا يبيت بديننا وهو مغتبط

وأحسن ما قيل في العدل قول محمد بن حسين ^(٥) الطنبى (ت ٣٩٤هـ):-

نُظِرَ إلّا له إلى البرية رحمةً فاخترَ أفضله لى وتخيّرا

(١) مطمح الأنفس، ص ٢٦٥.

(*) كان من أشراف القحطانيين في الأندلس وفد على الأندلس واليا سنة ١٢٥هـ وكان شاعرا فارسا.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٦٣، ط ٧، ١٩٧٩.

(٣) بحث نزهة جعفر حسن، ص ٢١٨، آداب المستنصرية ١٩٨٨.

(٤) انظر: ديوان ابن هاني، ص ٢٠٠، وانظر: عمر الدقاق، ملامح من الشعر الأندلسي، ص ٨٧، وانظر: تاريخ الأدب العربي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص ٢٥٣.

(٥) المقتبس في أخبار الأندلس، ص ٦٠، ونظيره في المصدر نفسه، ص ٦٢، وانظر بحث الدكتور منجد مصطفى بهجت، جامعي الموصل (البحر في شعر الأندلس والمغرب، عصر الطوائف والمرابطين، ص ١٨، الحولية ٧ لسنة ١٩٨٦. النفح، ج ٣ ص ٤٢٤ في القاضي العادل لابي مروان عبد الملك وانظر شعر يوسف بن هارون، ص ٧٣، وبغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، ج ١ ص ٤٠-٤١، تحقيق إبراهيم الإياري، وجذوة المقتبس ص ١٤، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ونظيره في جذوة المقتبس، ج ١ ص ١٤، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

مَلِكٌ أَقَامَ الْعَدْلَ فِي أَيَّامِهِ سَوَاقًا فَصَارَ الْحَقُّ فِيهِ مَتَجَرَا
لَمْ يَجِرْ طَيِّبٌ ذَكَرَهُ فِي مَجْلَسٍ إِلَّا حَسِبْتَ بِهِ الْهَوَاءُ تَعَطَّرَا

وقال ابن درّاج في سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر،
والذي أقام العدل في البلاد ونصر المظلوم فانتشر الخير، وشاع العدل والميزان.
وَقَامَ فَقَامَتِ لِلْمَعَالِي مَعَالِمٌ وَلِلْخَيْرِ أَسْوَاقٌ وَلِلْعَدْلِ مِيزَانٌ^(١)

أَمَّا الْحُكْمُ فَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ سِيرَةً وَأَجْمَلَهُمْ عَدْلًا^(٢). في ذلك الغرض يقول^(٣)
ابن درّاج:-

بِشْرَاكِ أَيْتِهَا الدُّنْيَا وَبُشْرَانَا
أَحْيَاكَ بِالْعَدْلِ مَنْ بِالْأَمْنِ أَحْيَانَا
وَحَفِظَ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِالْعَدْلِ يَحْفَظُنَا
وَرَعَى مَنْ لَمْ يَزَلْ بِالْبِرِّ يَرْعَانَا

وقد أظهر ثعلبة بن^(٤) سلامة الجذامي في إمارة الأندلس العدل.
وبعد أن ألقينا نظرة سريعة على هذه النماذج تبين انتشار هذه السجية بين
صفوفهم وميل طبعهم إلى العدل والعدالة.

(١) انظر ديوان ابن درّاج القسطل، ص ٤٦-٤٧.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، المجلد الأول، ص ١٥٦-١٥٧. تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماخي
الرفاعي، دار القلم، بيروت.

وتعليق الشيخ قاسم الشماخي الرفاعي، دار القلم، بيروت.
(٣) الديوان، ص ١٠٧، وانظر: نظيره في المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٤) انظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر
وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ج٤
ص ١١٩، طبعة ١٩٧١، والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ج٤ ص ١١٩، طبعة
١٩٧١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

المروءة:-

المروءة اسم جامع للمحاسن كلّها وقيل المروءة (أن لا تعمل عملا في السر تستحي منه في العلانية)^(١)، وقد وصف أهل الأندلس زريابا بأنه "معلم الناس المروءة"^(٢).

والمروءة الجمع بين الدنيا والدين فمن تركها تسبب لسخط الخالق وذم المخلوقين^(٣). وقد كانت للموكهم ووزرائهم وحجابهم سير جميلة ومروءة طاهرة كابن حُدِير الحاجب وعبد الملك بن جهور^(٤). قال يوسف بن هارون الرّمّادى^(٥) (ت ٤٠٣هـ):-

مُروءةٌ فى الحبِّ تُنْهى بأنْ تُجاهِرَ اللهَ بعصيان
ولا ننسى المروءة التى هى اِحْتِمَال زلل الإخوان^(٦) ولعل هذا كان طابعهم الخلقى آنذاك.

الفروسية:

كان لشعر الفروسية صولات وجولات ولكثرته جاء على شكل مقطعات أشبه بالأهزوجة فى سوح المنازلة.

ونجد عبد الرحمن الداخلى فارسا فيما وصل إليه من سلطان يقول^(٧):-

(١) الثعالبي، مرءات المروات، ص ٧، مطبعة الترقى، مصر، ١٨٩٨.

(٢) نفح الطيب، ج ٢، ص ١١٢، وانظر: قصة الأدب الأندلسي، ص ٩٨.

(٣) مردأت المروات: ص ٩.

(٤) انظر اخبار مجموعة، ص ١٣٧-١٣٨.

(٥) شعر الرّمّادى، ص ١٣١، وانظر نظيره فى المطرب من أشعار أهل المغرب ص ٤، تحقيق: إبراهيم الأبيارى.

(٦) روضة التعريف بالحب الشريف، ص ٦٤.

(٧) النفح، ج ٢، ص ٧٠.

لَا يُلْفُ (*) مَمْتَنٌ عَلَيْنَا مَائِلٌ وَلَوْلَايَ مَا مَلَكَ الْأَنَامُ الدَّاحِلُ
سَعْدَى وَحَزْمَى وَالْمَهْنَدُ وَالْقَنَا وَمَقَادِرُ بَلَّغْتَ وَحَالَ حَائِلُ

ولسعيد(**) بن جودي (ت ٢٨٤هـ) قصيدة مفتخرًا بفروسيته باعًا تحية خالصة
لوالديه الهائمين لذكراه جاعلاً من صولة النسر شرقاً للبطولة والاستشهاد
قائلاً^(١):-

فَقَدْ عَلِمَ الْفَرَسَانُ أَنَّى كُمَيْتَهَا وَفَارِسَهَا الْمَقْدَامُ فِي سَاعَةِ الذَّعْرِ
وَلَا لَمْ يَكُنْ قَبْرُ فَاحْسِنٍ مُوْطِنًا مِنْ الْقَبْرِ لِلْفَتَيَانِ مُوَصِّلَةَ النَّسْرِ
وَيَفْتَخِرُ الْجَزِيرِيُّ أَبُو مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ (ت ٣٩٤هـ) بفروسيته لطول نجاهه
وقصر سيفه لعزمه وقوة شكيمته فيقول^(٢):-

فِي سَيْفِهِ قِصْرٌ لَطُولُ نَجَادِهِ وَكَمَالُ سَاعِدِهِ وَفُسْحَةُ بَاعِهِ
وَلَا بِنِ دَرَّاجٍ^(٣) مَقْطَعَاتٍ وَأَبْيَاتٍ يَصِفُ بِهَا الْفَرَسَانَ وَعَدَّتْهُمْ فِي الْمَعَارِكِ بَحْرًا
وَبَرًّا؛ لِذَا كَانَ شَعْرُهُ مَرَّآةً سَجَلَتْ قِيمَ الْأَنْدَلُسِ لِفَتْرَتَيْنِ مِنْ تَارِيخِ تِلْكَ الْبِلَادِ فِي أَيَّامِ
النَّاصِرِ وَالْمُسْتَنْصِرِ وَهُوَ عَهْدُ الْمَنْصُورِ، فَكَانَ صَوْتًا مُؤَثِّرًا اخْتَلَجَ فِي نَفُوسِ الْفَرَسَانَ
وَامْتَزَجَ بِقُوَّةِ صِيحَاتِهِمْ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالشَّهَادَةِ.

(*) يلف ضد النسر، والملفافة ما يلف على الرجل وغيرها و(الالفاف) الأشجار يلتف بعضها. انظر:
لسان العرب مادة (لف)، وانظر: نظيره في الفروسية، أخبار مجموعة، ص ١٢٠، تحقيق: إبراهيم
البياري، وأخبار مجموعة بدون محقق، ص ١٣٢-١٣٣. والنفخ، ج ١، ص ٣٢٠، الحلة السراء،
ج ١، ص ٤٧، المغرب، ج ١، ص ٤٤.

(**) ورد ذكر سعيد بن جودي في جذوة المقتبس، ج ١- ص ٣٥٦، ترجمة (٤٦٧) ولم يذكر الشعر.

(١) ابن حيان، المقتبس، ص ١٢٤، وانظر: نظيره في ديوان ابن عبد ربه الأندلس، ص ٤٣، ص ١٢٨،
١٩١، ١٨٨.

(٢) قصيدة لابي مروان الجزيري، ص ٢٦.

(٣) انظر الديوان، ص ٤.

السماح:-

التسامح والسماح من شيم أهل الأندلس يقول ابن عبد ربه^(١):-
ورأيت فيك من الصّلاح شمائلًا ومن السّماح دلائلاً وشهوداً

ومثله عند ابن هانئ (ت ٣٦٢هـ)^(٢):-

وكفاك من حُبِّ السّماحة أنها منه بموضع مُقلّةٍ من مَحْجَرٍ

ويقول الحاجب المصحفي في سماحة الخلق ودمائه^(٣):-

ولكنما أخلاقك القَرَنِيَّهت بريعت في كانون نائمة ألورد

وله^(٤):-

بنفسي وأهلى طالع خلت أنه بأخلاق معشوق العلى يتخلقُ

ثم يقول^(٥):-

سرى الحب في أخلاقه فأرقها وعلمه أحكامه فتعلما

وله أيضًا^(٦):-

بالغت في السُّخْط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

ويبدو أن المسامحة نبعت من طيبة القلب ورقته، فتخلق بها العاشق والمعشوق
والملك والوزير والحاجب والصاحي والمخمور.

(١) الديوان، ص ٥٩.

(٢) انظر الديوان، ص ١٠٢، وقد وردت الرواية في مطمح الأنفس، ص ٣٢٦،
وكفاه من حُبِّكَ السّماحة أنه منه بموضع مُقلّةٍ من مَحْجَرٍ.

(٣) ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، ص ١٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٥) نفسه، ص ١٩٥.

(٦) م ن، ص ١٩٦.

تطلق هذه الكلمة على بسط اليد بالبر والمعروف لمن هو في حاجة إلى ذلك، وأنواع البر والمعروف كثيرة، منها العنو عند المقدرة، ومنها المساعدة بالجاء والمال، وقد تطلق كلمة الإحسان على التصديق على المساكين.

يقول غريب الطليطلى (ت ٢٠٧هـ) ^(١):-

قُلْ لِمَنْ مِثْلُ فِى أَشْعَارِهِ يَذْهَبُ الْمَرْءُ وَيَبْقَى مَثْلُ!
نَافِسُ الْمُحْسِنِ فِى إِحْسَانِهِ فَسَيَكْفِيكَ مَسِيئًا عَمَلُهُ!

ومثله يقول ابن عبد ربه ^(٢):-

أَوْسَعْنَا إِحْسَانَهُ وَقَفْضَلُهُ وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِثْلُهُ

إنَّ فضيلةَ الإحسان تنشأ عن الرفق وحب الخير للآخرين وهما مظاهر كثيرة، فمن مظاهرها برّ الوالدين وبذل كل وسع في إرضائهما بما لا يخالف قواعد الدين والأدب، وهذا ما حثّ عليه القرآن الكريم.

ومنها برّ ذوى القربى ومعاونتهم عند الحاجة يقول أبو مروان عبد الملك (ت ٣٩٤هـ) في ذلك ^(٣):-

فَجَمِيعُهُمْ لِلْبَرِّ أَهْلٌ وَالتَّقَى قَسِي بِهَا وَبِكُلِّ صَالِحَةٍ حَرَى
ثُمَّ اقْضِ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ وَقُمْ بِمَا فَرَضَ الْكِتَابَ عَلَيْكَ مِنْهُ وَابْدِرْ
وَتَنَاصَفُوا وَتَقَارَضُوا الْبَرَّ الَّذِي هُوَ حَلَّةُ الْعَارَى وَكَنْزُ الْمُقْتَرِ

(١) تاريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٩٢-٩٣، له ترجمة في بغية المتتمس، ج ٢، ص ٥٨٠ (١٢٨٥)،

والتشبيهات، ص ٣٠٦، ترجمة: ٦٣٩. وانظر المغرب، ج ٢، ص ٢٣-٢٤.

(٢) الديوان، ص ١٨١.

(٣) قصيدة أبو مروان عبد الملك بن أدريس الجزيري، ص ٥٨، ٦٧.

والإحسان خير ما تراض به الطباع القاسية وتهذب به النفوس الجامحة وتؤسر به القلوب، فقد أهدى صاعد بن الحسن اللّغوى (٤١٧هـ) سنة (٤١٠هـ) إلى المنصور بن أبى عامر أيلًا وكتب معه بهذه الأبيات^(١):-

جَدِّوَاكَ إِن تَخْصُصْ بِهِ فَلَاهِلِهِ وَتُعْمَ بِالْإِحْسَانِ كُلَّ مُؤْمَلٍ

وفضيلة الإحسان تتمثل بإنشاء دور العلم ومعاهده التى ينتفع بها الفقراء من أبناء الأمة، وما كثر هذا النوع من الإحسان فى وطن من الأوطان الآ كان بشير التقدم والرقى والنظام. ومنها العفو عن زلّات أصحاب المروءات وإقالة عثراتهم والإسراع إلى نجدتهم عندما تحل بهم نكبات الزمان. وقد أنشد أبو بكر عبد الله بن حجاج الأشبيلى لعبادة بن ماء السماء إلى الوزير أبى عمر أحمد بن سعيد يستأذن إحسانه عليه ويسأله الوصول إليه^(٢):-

يَا قَمْرَ الْيَلَةِ إِكْمَالِهِ وَمَغْرَقَى فِى بَحْرِ أَفْضَالِهِ
عَبْدُ أَيَادِيكَ وَإِحْسَانِهَا يَسْأَلُكَ الْمَنُّ بِإِيصَالِهِ
فَإِنَّ تَفَضَّلْتَ فَكُم نِعْمَةً جُذْتُ بِهِمَا مُصْلِحَ أَحْوَالِهِ

(١) بغية الملتبس، جـ ٢، ص ٤١٧، ترجمة: (١٨٥٤)، والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٦، ٣٧، تحقيق: العريان، وعن وفاة صاعد الأندلس يقول ابن خلكان (ت ٤١٧هـ)، وفى انباء الرواة سنة ٤١٩هـ.

(٢) بغية الملتبس، جـ ٢، ص ٥١٧-٥١٨، ترجمة (١١٢٦)، انظر: بقية أبيات عبادة بن ماء السماء (ت ٤١٩هـ).